لفظـة القلـب في سـورة الأحـزاب
ـدراسة تحليلية موضوعيةـ

أ.د. جهاد النصيرات* دة. ريما بني دومي**

تاريخ وصول البحث: 2021/06/01م **تاريخ قبول البحث: 2021/08/18م**

ملخص

لقد تناول هذا البحث قضية ذات صلة بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وهي دراسة لفظة القلب دلالة وورود في سورة الأحزاب، في محاولة للكشف عن ترابط السورة ومحاورها من خلال تكرار هذه اللفظة بشكل لافت فيها دون غيرها من السور. وقد كشفت هذه الدراسة عن عناية خاصة بقلب المسلم تزكية وبناء؛ ليكون قادراً على مواجهة الفتن وأصحابها من خلال العناية بعبادة التوكل القلبية. كما كشفت عن خبايا قلوب المنافقين، وقدّمت السورة للأمة نصائح عملية في التعامل مع هذه الفئة التي تتكرر في كل زمان ومكان؛ لتفويت فرص الأذى التي يمكن أن تلحقها بالمجتمع الإسلامي.

The term of Alqalb (HEART) in Surat Alahzab thematical, analytical study

Abstract

This research has dealt with an issue connected to the objective interpretation of the Holy Qur'an, the Issue is studying the word "heart" and its significance and its mentioning in Surat al-Ahzab in an attempt to uncover the interconnectedness of the surah and its subjects by repeating this word frequently in it without other surahs,

This study revealed a special care for the heart purity and formation of a Muslim in Surat al-Ahzab. To be able to face afflictions and its Rioters by taking care of the worship of heartfelt of depending on Allah. It also revealed the secrets of the hearts of the hypocrites, and the surah provided the Islamic nation with practical advice in dealing with hypocrites, Those who are existed in every time and place. To make them miss the chances of harm that could be inflicted on the Islamic community.

* أستاذ، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

** محاضر غير متفرغ، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية – uh_alnu@yahoo.com

المقدمة.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أنزل عليه الكتاب، لنتدبر آياته وما تنطوي عليه من أسرار عجاب. وإنّ هذا القرآن على تنوّع آياته وموضوعاته تمسك بها روح الهداية من أوله إلى آخره، كما ترتبط كل سورة بأختها حتى يبدو القرآن وكأنه كلمة واحدة متّسقة المعنى والمبنى[1]. كما أنّه "لكل سورة وحدة تجتمع حولها آياتها وإن تعددت موضوعاتها، ويحس فيها روحا تسري بين أجزائها، ووشائج تربط بينها، ومقصدا يجمعها"[2]. وقد سمّى الرافعي هذه الروح التي تمتد عبر آيات السورة روح التركيب[3]. ودراسة هذه الروح ومحاولة استكشاف أسرارها إنما يكون بغرض التوصّل إلى المقاصد الهدائية للسورة[4]. ولمّا كثر ورود لفظ القلب في سورة الأحزاب، وكثرت الآيات التي تصوّر

المشـاعر الإنسـانية فيها، كان لا بدّ من وقفة بحثية تتناول أسـرار ذلك وأغراضـه سـيّما وأنّ القلب هو العضـو الأهم في الإنسان، وهو موضع نظر الله Y، ويرتبط به فساد الإنسان وصلاحه. من خلال تتبع وروده لفظاً ومعنى في القضايا التي تناولتها سورة الأحزاب، وأثر ذلك على التناسق الموضوعي في السورة في محاولة للوصول إلى دروس عملية لإصلاح القلب مما يعلق به من مفاسد الدنيا، ودروس أخرى في التعامل مع مرضى القلوب الذين كثر ذكرهم والإشارة إليهم في هذه السورة الكريمة.

مشكلة الدراسة.

يلحظ القارئ المتدبّر لآيات الكتاب في سـورة الأحزاب تكرّر لفظة (القلب) في السـورة، حيث بلغ عدد مرات الورود نحو عشرة مواضع من أصل 132 موضعاً في القرآن الكريم مما يثير التساؤل عن سر تعدّد هذا الورود في سورة أخذت على عاتقها معالجة قضايا مصيريّة، تنظّم حال المجتمع المسلم في المدينة. ومن هنا قامت هذه الدراسة لتجيب عن السؤال الرئيس الآتي: ما دلالات ارتباط ذكر القلب بموضوعات سورة الأحزاب؟ وتنبثق عنه الأسئلة الفرعية التالية؟

1- ما دلالة القلب في المصطلح القرآني؟
2- ما دلالة ارتباط القلب بقضايا التبني والظهار في سورة الأحزاب؟
3- ما دلالة ارتباط القلب بقضايا الغزوات في سورة الأحزاب؟
4- ما دلالة ارتباط القلب بقضايا بيت النبوّة؟

أهداف الدراسة.

1- بيان دلالة القلب في المصطلح القرآني.
2- بيان دلالة ارتباط القلب بقضايا التبني والظهار في سورة الأحزاب.
3- بيان دلالة ارتباط القلب بقضايا الغزوات التي تناولتها سورة الأحزاب.
4- بيان دلالة ارتباط القلب بقضايا بيت النبوّة.

الدراسات السابقة.

يوجد نوعان من الدراسات التي اعتمدت عليها هذه الدراسة في التأصيل:

1) الدراسات التي تناولت القلب عموماً في القرآن الكريم، مثل:

أ- شحروج، ابتهاج ياسر عيسى، القلب في القرآن -دراسة موضوعية-، رسالة ماجستير، إشراف: د. خالد علوان، جامعة النجاح الوطنية- نابلس، 2011م. تناولت هذه الدراسة معنى القلب لغة واصطلاحاً، وتوسّعت في بيان نظائر القلب من الفؤاد والصدر وغيره. كما بيّنت أهمية القلب في القرآن الكريم وصفات القلب السليم والمريض من خلال الآيات وأسباب صلاح القلوب وفسادها وأفادت الدراسة في هذه الجوانب. إلا أنه كان ينقصها الخروج بدروس عملية تفيد في الانتفاع التطبيقي لهذه الدراسة الموضوعية.

ب- أبو عيشة، جبر أحمد، القلوب ونظائرها في القرآن -دراسة موضوعية-، رسالة ماجستير، إشراف د. عبد السلام حمدان، الجامعة الإسلامية -غزة، 2008م، اهتمت هذه الدراسة بأصناف القلوب وأوجه الاتفاق والاختلاف بينها ونظائر القلب في القرآن الكريم كالفؤاد واللب وغيرهما. إلا أنّ عنايتها كانت منصبّة على الناحية اللغوية فيما يتعلق بالمفردة القرآنية.

ج- شهرة، حبيبة، الفؤاد والقلب في القرآن الكريم-دراسة تحليلية- بحث منشور لمجمع الفقه الإسلامي، مجلة المدوّنة، العدد التاسع، المجلد الثالث. كشفت هذه الدارسة عن بعض أسرار التباين بين لفظتي الفؤاد والقلب وعلاقتهما ببعضهما وببقية الحواس من خلال الآيات القرآنية وآراء المفسرين وأهل اللغة. إلا أنه كان ينقص هذه الدراسة بين ثمرة هذا التباين من أوجه الهداية القرآنية – مقصود القرآن الكريم الأول.

د- الجهني، عادل بن سعد بن خليل، حديث القرآن عن القلوب ومنهجه في إصلاحها، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- المدينة المنوّرة، 1994م. عنيت هذه الدراسة بتعريف القلب وبيان أسباب صلاح القلوب وفسادها وأنواع القلوب بناء على ذلك كما بينتها الآيات القرآنية ومحاولة استخلاص منهج متكامل للقرآن في ذلك.

ه- علي، كمال عوض حسين، تراكيب ذكر القلب وصفاته في القرآن الكريم -دراسة نحوية دلالية- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، إشراف د. أحلام دفع الله أحمد علي.2017م. تناولت هذه الدراسة الآيات التي ذكر فيها لفظ القلب وصفاته في محاولة جادة لمعرفة أسرار التراكيب التي ورد فيها القلب في القرآن. وأثر القواعد النحوية في هذه التراكيب على المعنى. وقد أفادت الدراسة منها في هذا الجانب.

والدراسات التي تتحدّث عن القلب في القرآن كثيرة وغنية بالفوائد إلا أنه لم توجد دراسة متخصّصة في ذكر القلب في سورة الأحزاب.

2) **الدراسات التي تناولت سورة الأحزاب من الناحية التحليلية والموضوعية،** وهي دراسات كثيرة تشمل الرسائل والأبحاث التي تناولت سورة الأحزاب من جميع الجوانب. ومنها:

أ- النصيرات، د. جهاد محمد، الألفاظ التي انفردت بها سورة الأحزاب -دراسة دلالية موضوعية- قسم أصول التفسير، الجامعة الأردنية- بحث منشور، مجلة جامعة مؤتة، 2014م. حيث عني هذا البحث بدراسة الألفاظ القرآنية التي انفردت بها سورة الأحزاب اشتقاقاً وجذراً، وربطت هذه الألفاظ بقضايا السورة وموضوعاتها وشخصيتها. وقد أفادت هذه الدراسة منها في هذه الجوانب من تشخيص الوحدة الموضوعية في السورة إضافة إلى الإفادة من إبراز الدراسة لمزايا وخصائص سورة الأحزاب التي تعتني بها هذه الدراسة في أحد جوانبها.

ب- القرشي، محمد بن عزيز بن عبد الرحمن، التناسق الموضوعي في سورة الأحزاب، - رسالة ماجستير- إشراف د. زياد بن خليل الدغامين، جامعة أم القرى 2012م، مكة المكرمة. أفادت هذه الدراسة من هذه الرسالة العلمية في جوانب التشخيص الموضوعي للسورة من حيث تناسق موضوعاتها، وتفسيرها في ظل هذا التناسق الموضوعي للسورة.

وتظهر أهمية هذه الدراسة في أنه لم توجد دراسة سابقة تناولت ورود القلب في سورة الأحزاب – على الخصوص- لاسيما أنها من أكثر السور التي ورد فيها لفظ القلب، كما أنّها سورة حفلت بتصوير المشاعر القلبية. وهي من السور المكثرة في الحديث عن المنافقين الذين أضمرت قلوبهم خلاف ما أظهرت مما يستدعي دراسة القلب في هذه السورة دراسة تفصيلية وموضوعية تبيّن وجه هذا الارتباط وأهميته، وتقدّم لنا دروساً يمكن الاستفادة منها بشكل عملي في إصلاح القلوب وتوجيهها.

منهج الدراسة.

تقوم هذه الدراسة على منهجين:

1- المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء ما ورد حول الآيات من معلومات وتفسيرات تهم الموضوع.

2- المنهج الاستنباطي: من خلال تحليل هذه المعلومات وتوجيهها واستنباط دقائقها، بما يخدم أهداف البحث في ضوء المنهجية العلمية السليمة.

خطة البحث.

وتتكوّن هذه الدراسة العلمية من مقدّمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:

التمهيد: التعريف بمحددات الدراسة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفردة القلب في القرآن _دلالة وورودا_.

المطلب الثاني: التعريف بسورة الأحزاب والوحدة الموضوعية فيها.

المبحث الأول: ارتباط لفظة القلب بإلغاء بعض التصورات الجاهلية، وبالحديث عن غزوتي الأحزاب وبني قريظة.

المطلب الأول: ارتباط لفظة القلب بإلغاء بعض التصورات الجاهلية.

المطلب الثاني: ارتباط لفظة القلب بالحديث عن غزوتي الأحزاب وبني قريظة.

المبحث الثاني: ارتباط القلب بالقضايا المتعلقة ببيت النبوة.

المطلب الأول: ارتباط القلب بقضية تزكية نساء النبي ε.

المطلب الثاني: ارتباط القلب بقضايا زواج النبي ε.

المطلب الثالث: ارتباط القلب بالنهي عن الأذى في حق النبي ε وزوجاته والمؤمنين.

الخاتمة: وفيها خلاصة النتائج والتوصيات.

التمهيد:
مفردة القلب في القرآن والتعريف بسورة الأحزاب.

المطلب الأول**: مفردة القلب في القرآن ـدلالة وورودا**ً**ـ.**

القلب (لغة): تَحْويلُ الشــيءِ عن وجهه، وقَلَبَ الشــيءَ، وقَلَّبه: حَوَّله ظَهْراً لبَطْنٍ[5]، وقلبه عن وجهه: أي صــرفه. ومنه الانقلاب إلى الله: المصـير إليه والتحوّل، وقد قلب الله فلاناً إليه: توفاه[6]. وورد أنّ قَلْبُ كلّ شـيءٍ: لُبُّه، وخالِصُـه، ومَحْضُـه[7]، ويرى ابن فارس أنّ القلب يدلّ على أصـلين: الأول يدلّ على خالص الشـيء وشـريفه، ومنه قلب الإنسـان، والثاني: ردّ شـيء من جهة إلى جهة[8]. ويظهر أنّ اعتبارهما أصـلاً واحداً أولى؛ لأنه إذا قلّبت كل معاني قلب وجدتها ترتبط بالأصل الأول. وحتى قلب الإنسان فإنه ما سُمّي بذلك إلا من تقلبه[9]، وأكثر ما يدلّ على تقلّبه قول النبي ε في بعض من الأحاديث "يا مصرف القلوب" أو "يا مقلب القلوب"[10]. واعتبار القلب لبّ الشـيء إنما هو مستمدّ من الاعتبار المادي لوجود القلب في لبّ الكائن الحي؛ لأنّ القلب في نهاية الأمر " قبضة من طين، ونفخة من روح"[11]. واستدلالهم بالقول هو عربي قلباً على الأصـل الثاني يمكن رده إلى الأصـل الأول: أي كيفما قلّبته فهو عربي. ولذا فاعتبار معنى اللبّ في القلب صحيح، ولكن اعتباره أصلاً منفصلاً عن معنى التحوّل هو ما يقع فيه النظر.

وورد لفظ القلب في القرآن نحو 132 مرة[12]، 35 موضـعاً مكياً، والباقي ورد في الآيات المدنية[13]. وهذا الفارق أتى من اختلاف طبيعة الفئات بين المجتمع المكي الذي انقسمت قلوب أهله بين الإيمان والكفر، فيما تشعّبت قلوب المجتمع المدني بين فئات كثيرة كالمنافقين والمتردّدين من ضـعاف الإيمان وقلوب أهل الكتاب وغيرهم[14]. وقد ورد القلب في القرآن بدلالات متنوّعة، فبعضـها عني بالدلالة العقلية[15] نحو **[أَفَلَمْ يَسِـيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْـمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَـارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّـدُورِ]**[الحج: 46]، وبعضـها تُغلّب الناحية العاطفية والوجدانية نحو **[وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي]**[البقرة: 260]. ويرى النورسـي أنّ القلب في القرآن: "هو اللطيفة الربانية التي مظهر حياتها الوجدان، ومعكس أفكارها الدماغ"[16].

المطلب الثاني**: التعريف بسورة الأحزاب والوحدة الموضوعية فيها.**

هي سورة مدنية بالإجماع، من أوائل السور المدنية نزولاً. جاءت في ترتيب القرآن بعد سورة السجدة. وقد التقت أواخر السجدة مع الأحزاب التقاء جعلهما لُحمة واحدة. حيث قال تعالى في آخر السجدة: **[فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ]**[السجدة: 30]. إذ تلا هذا الانتظار تمكينٌ للنبي ε دلّ عليه قوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا]**[الأحزاب: 1]. فظهور النفاق والمنافقين علامة على هذا التمكين، إذ لا يضطرّ الناس إلى سلوك طريق النفاق إلا الخوف بعد أن قويت شوكة الإسلام في المدينة المنوّرة.

وقد حفلت هذه السورة بتصوير المشاعر الإنسانية، وهو ما يتّسق اتساقاً تاماً مع كثرة ورود لفظة القلب فيها. كما تضمّنت السورة تحوّلات مصيريّة في حياة النبيّ ε كانتشار المنافقين حوله، وإلغاء التبنّي، وزواجه من زوجة ابنه بالتبني وغزوتي الأحزاب وبني قريظة وأحكام خاصة بنساءه ε. ولهذا تكرّر نداء النبي ε تكرّراً لم يُر مثله في الكتاب العزيز[17]. كما أنّ ابتداء السورة بـ(اتق الله) يدلّ على صعوبة التعامل مع هذه التحوّلات. وعلى الرغم من تناثر موضوعات السورة واختلافها إلا أنها تنقسم في مجملها إلى قسمين؛ قسم يتعلق بالحرب، وقسم يتعلّق بالأوضاع الاجتماعية وخصوصاً تلك الأوضاع القريبة من بيت النبي ε وقد كان العدو في القسمين واحداً، مما يدلّ على أنّ سعي هذا العدوّ بهدف إيقاع الاضطراب في صفوف الجماعة المسلمة سواء عن طريق الهجوم الحربي والإرجاف في الصفوف والدعوة إلى الهزيمة أو عن طريق خلخلة الأوضاع الاجتماعية والآداب الخلقية[18].

ولمواجهة هذه الحرب المتشعّبة، فقد بدأت السورة بالإصلاح من النقطة الأعمق وهي القلب.

وممّا يلفت النظر في هذا الشأن ورود المنافقين باسمهم نحو سبع مرات، وورود كلمة الأذى ومشتقاتها نحو سبع مرات أيضاً، وقد يكون في ذلك دلالة على أنه بمقدار وجود النفاق يكون الأذى الذي يلحق بالمجتمع المسلم. كما يدلّ على الأثر الفاعل للمنافقين في بثّ سمومهم وإيذاء الفئة المؤمنة. وهذا الأمر يُجلّي لنا معنى ورود التوكل في صدر هذه السورة، وكأنّ في ذلك إشارة إلى أنّ صنوف الأذى الخفية أشدّ من الظاهرة، وأنّ الأسباب الماديّة لا تكفي لمواجهتها. وإذا أردنا جمع موضوعات السورة وربطها – وهي مترابطة رغم اختلافها- إذ ينظمها خيط واحد من أول السورة إلى آخره هو تنظيم أمر الجماعة المسلمة[19] من الناحية الإدارية التي عنيت بها السورة عناية خاصة[20]. وقد جاء هذا التنظيم في وقته للمجتمع الإسلامي الجديد في المدينة؛ إذ إنها من أوائل السور المدنية نزولاً. ومن الناحية الأخلاقية من خلال التشريعات التي تحمي كيان المجتمع من الانهيار الأخلاقي. وأولى هذه التشريعات إلغاء أمر التبني ويتبعه قصة زواج النبي ε من زوجة ابنه المُتبنّى، وفي هذا التشريع إقامة للأسس الصحيحة للمجتمع الإسلامي، وهدم للأسس الباطلة، فإن أطاع المسلمون ربهم وأقاموا على الإسلام أمرهم كان الله معهم في النوازل والشدائد- التي تمثّلت باجتماع الأحزاب عليهم، فنصرهم الله بفضله وباطمئنانهم إلى شرعه[21]، وبذلك تتّضح الصلة بين قضية التبنّي وغزوتي الأحزاب وبني قريظة. ثم ما تلا ذلك النصر من تمكين وفتح اقتضى التنبيه على مقام بيت النبوّة، وأنه لا يليق بنساء هذا البيت الجري وراء الدنيا وزينتها- كما تفعل كثير من النساء-. ثم تتابعت التشريعات التي تحمي بيت النبوّة – الذي هو نواة الدعوة الإسلامية ولبّها- وتحمي معه بيوت المسلمين وكيانهم الأخلاقي. وهكذا تعاضدت محاور السورة في التأسيس لإدارة المجتمع الإسلامي المتعدّد الأطياف في المدينة بدءاً من النواة (بيت النبوة) وانتهاء إلى كل بيت من بيوت المسلمين. ويظنّ الباحثان أنّ السورة عنيت بشأن المنافقين عناية فائقة

تكاد لم تخل معها آية واحدة من التصريح بأذاهم أو الإشارة إليه، وما يؤكد ذلك اجتماع فاتحة السورة وخاتمتها على ذكرهم، إذ قال سبحانه في أولها: **[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا]**[الأحزاب: 1] وقال في آخرها: **[لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا]**[الأحزاب: 73]. كما أنّ ظهورهم كان من أبرز التغييرات التي طرأت على المسلمين آنذاك؛ إذ هي فئة جديدة بينهم لا تنتمي إلى الكافرين انتماءً ظاهراً، وتتظاهر بالانتماء إلى المسلمين، وقد احتاج ظهورهم إلى بيان سماوي لحيلهم الدنيئة، وكيفية التعامل معهم. والنفاق شأن قلبي خالص، ومن هنا جاءت أهمية دراسة القلب في هذه السورة.

المبحث الأول:
ارتباط لفظة القلب بإلغاء بعض التصورات الجاهلية وبالحديث عن غزوتي الأحزاب وبني قريظة.

المطلب الأول: ارتباط لفظة القلب بإلغاء بعض التصورات الجاهلية.

بدأت السورة الكريمة في تقرير هذه القضية بأمر النبيّ ε بالتقوى التي موطنها القلب، وتلا ذلك الأمر باتباع الوحي والتوكل على الله. والتمهيد بهذه القواعد الثلاث (التقوى واتباع الوحي والتوكل على الله) بيان لمقصد السورة الأساس الذي هو الحثّ على الصدق والإخلاص للخالق، وإن عارض توجّهات الخلائق[22]. فلكل قاعدة من هذه الثلاث خصوصية تتعلق بالسورة، فالتقوى تقتضي هنا عدم الركون إلى الكافرين والمنافقين **[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا]**[الأحزاب: 1]، واتباع الوحي يقتضي الثقة المطلقة بالمنهج الإلهي ولذا أوثر اسم الخبير الدال على مطلق علم الله بما يصلح الناس **[وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا]**[الأحزاب: 2]، والتوكل يقتضي ترك الأمر كله لله كما تقتضي كلمة كفى **[وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا]**[الأحزاب: 3]. ويلحظ في هذه القواعد أنّ الأولى والثالثة (التقوى والتوكل) قاعدتان قلبيتان في مقابل (اتباع الوحي) وهي الجزء العملي مما يشير إلى ثقل موضع القلب من هذه السورة، وعظم الأمور التي تتناولها السورة فاقتضت هذه العناية بأحوال القلب.

فبدأت الآيات بإلغاء تصوّرات العرب في التبني والظهار، واستدعى الله I القلب في هذه القضية مرتين؛ مرة في دعوتهم إلى التفريق بين مشاعرهم الحقيقية الفطرية وتلك المشاعر الوهمية التي بنوا عليها تصوراتهم **[مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ]**[الأحزاب: 4] من خلال إلغاء هذه الأحكام المتأصّلة في مجتمعهم، حيث غابت عنهم الحقيقة مع اعتيادهم على اعتبار الابن المُتبنى كالابن الحقيقي، وأنّ الزوجة إذا غضب منها الرجل فظاهر منها أصبحت كالأم، فكما لا يجتمع القلبان لا تجتمع لرجل أمان أو أبوان اثنان[23]. وكما لا يجتمع قلبان في جوف الإنسان فكذلك لا يجتمع الضدان من الحلال والحرام، ولا يجتمع الخوفان خوف الله وخوف البشر، فهو تقديم لقوله تعالى لاحقاً: **[وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ]**[الأحزاب: 37] [24]. فجاءت الآية ردّاً على رجل ادّعى أنّ له قلبين يعقل بهما[25]. فيكون إبطال ما يشهد الحس بكذبه[26]- وهو اجتماع قلبين في جوف الرجل- طريق لإبطال المعاني الموهومة والمشاعر المزعومة كأن تصير الزوجة أماً، أو يكون المتبنّى ابناً. ثم استدعى الله Y القلب مرة أخرى في رفع الجناح عمّا قد يفعلوه سهواً جرّاء تعمّق تلك التصورات في عاداتهم وأنفسهم، ولذا قال: **[وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا]**[الأحزاب: 5]. وهذه القاعدة لا تختص بموضوع التبنّي فحسب، بل هي تقرير لأصل كبير في هذا الدين أنّ المؤاخذة لا تكون إلا لمن وعى وأدرك وقصد مخالفة أمر الله[27]. ومن هذه القاعدة تتبيّن أهمية القلب وموضعه. كما أنّ في إسناد المؤاخذة إلى القلب إشارة إلى وجوب العناية بطهارة القلب وزكاته[28].

وأبدل الله هذه القلوب المُسلّمة لأمر الله I بالأبوة بالتبني، أبوّة النبي ε وأمومة نسائه لهم **[النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا]**[الأحزاب: 6]. ممّا يعني أنّ نزع التصوّرات القلبية الخاطئة في المجتمع وقت نزول السورة رافقه إرساء تصوّرات جديدة لملء ذلك الفراغ القلبي بما يؤهل أصحابه للقيادة المعنويّة والماديّة؛ ولهذا كان التذييل في الآية الأولى **[إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا]**. فالتذييل بالعلم والحكمة جاء لدفع السامع للإيمان بخيريّة هذه التصوّرات الجديدة، ولذا قال I في هذا المقطع: **[ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ]**[الأحزاب: 4]، فجملة **[ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ]** فيها إشارة إلى أنه ينبغي أن تكون أقوال العبد صادرة عن قلب يعقل[29] لا عن فاه يكرّر أقوال الآخرين التي لا تتوافق مع الشرع والعقل. ولذا عطفت الآية (والله يقول الحق) على قوله: (ذلكم قولكم بأفواهكم) لبيان البون الشاسع بين القولين (قول العبد الجاهل) ولذلك قيده بكلمة (بأفواهكم)[30]، وقول الحق الموافق للحقيقة والعقل. والخلاصة أنّ هذه التغييرات في الروابط المجتمعيّة من أوجه الهداية من الله I للبشرية.

وبهذا يمكن الملاحظة أنّ القلب أمسك هنا بطرفي القضية من التخلية والتحلية، التخلية من خلال إخلاء القلب من تلك التصوّرات الباطل **[مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ]**، والتحلية من خلال إحلال المشاعر الحقيقية **[ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا]**[الأحزاب: 5]. وإحلال الرابطة البشرية الأصيلة وهي رابطة الأرحام **[وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ]**[الأحزاب: 6]. وأن يكون مبدأ ذلك الإحلال من القلب، ولهذا عفا الله عمّا انفصل عن القلب من خطأ القول في ذلك.

المطلب الثاني: ارتباط لفظة القلب بالحديث عن غزوتي الأحزاب وبني قريظة.

بعد التأسيس الذي كان في أول السورة لوحدة المنهج وانصياع القلب وصدق التسليم لأمر الله، والثقة المطلقة بحكمته I، وهذا يتجلى في القضية التي تناولتها صدر السورة من ترك التبني، وأنّ المتبنى لا يكون ابناً. أتى الحديث عن نصر الله وعونه في غزوتي الأحزاب وبني قريظة؛ إذ لا يكون من الله نصر وعون حتى يكون الأمر كله لله من قبل ومن بعد، فلما أطاع المسلمون ربهم وسلموا لحكمه ووجهوا قلوبهم نحوه كان نصر الأحزاب وعطاء الله لهم من الأرض والمال. وكأنّه في تتابع هذين الموضوعين تهيئة للقلب وإعداد له للصمود في الفتن والأزمات. ومما يسترعي النظر في الآيات التي تتناول هذا الموضوع أنها ذكرت العهد بصيغ ومقامات مختلفة نحو ثلاث مرات؛ في أوله ووسطه وآخره كما ذكر لفظ القلب نحو ثلاث مرات أيضاً، وفي ذلك إشارة إلى الخطب الشديد الذي يستدعي تذكر العهود والمواثيق التي عاهد بها العباد ربهم ليتمكّنوا من الصمود في مثل نازلة الأحزاب. كما في ذلك إشارة إلى أنّ العهد شيء معنوي لا يمكن للإنسان العمل ما لم يتعاهده بقلبه.

وجاء الإخبار بميثاق الأنبياء: **[وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا]**[الأحزاب: 7]. في أول هذا الموضوع توطئةً لذكر جزاء الصادقين[31] (ورثة ميثاق الأنبياء) الذين صدقوا بالثبات في المحن، وتوطئة لذكر عذاب المنافقين الذين أظهرت المحن كفرهم في وقعة الأحزاب؛ لأنّ الثبات في النوازل هو دليل حفظ الميثاق.

ويرتبط الميثاق بالقلب ارتباطاً وثيقاً؛ حيث إنّ الوفاء بالعهد يعني صدق القلب وثباته على الحقّ. واعتبار هذا الميثاق توطئة لما بعده يزيد في موضع القلب أهمية منه؛ إذ إنّ الصادقين الذين ذُكروا في الآية التالية إنما اعتُبر صدقهم لموافقة أقوالهم وأفعالهم لما في قلوبهم. فهو امتداد للحفاظ على ذلك الميثاق الذي تلقّاه الأنبياء عن ربهم، وتلقّته البشرية عن أنبيائها.

ثمّ يبدأ القلب جهاده الحقيقي مع ابتداء يوم الأحزاب **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا]**[الأحزاب: 9-10].

حيث يذكّرهم الله بيوم الأحزاب، اليوم الذي بلغت فيه قلوب المؤمنين أشدّ درجات الخوف الذي عبّر عنه I بقوله **[وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ]**، وقد سُبقت هذه الآية بقوله تعالى: **[وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا]** إشارة إلى علم الله I بالتجاءهم إليه، وأنه آمنهم في وقت لم يبصروا فيه وجهاً للأمن[32]، فكان إبصارهم لا عبرة فيه، وإنما العبرة بإبصار البصير I الذي يرى عملهم وجهدهم في نصرة دينه، ولهذا قيل: "إنّ المجاهدة تفضي إلى المشاهدة"[33].

واستخدام هذه التعبيرات في الآية (زاغت الأبصار، بلغت القلوب الحناجر)، وهو تعبير لم يُستخدم في القرآن إلا هنا، وفي موضع وصف الحال يوم القيامة **[وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ]**[غافر: 18]، هو من طرق المبالغة المعهودة في كلام العرب، وإن لم ترتفع القلوب إلى ذلك المكان، ولكنّه مثل على اضطرابها[34]. وقد جاء ليؤكد أنها مشاعر خارجة عن إرادة المؤمنين وطاقتهم ووسعهم، حتى أدّت إلى خواطر سوء خطرت للمؤمنين لا يمكن للبشر دفعها، وأما المنافقون فنطقوا بها[35]، والدليل قوله تعالى: **[وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا]**[الأحزاب: 12].

ويأخذ القلب هنا حيّزا كبيراً من المعاني التي يمكن فهمها من هذه الآية الكريمة، حيث هنا نقطة الابتلاء الكبيرة التي تسرّبت بسببها الخواطر والهواجس إلى القلوب **[هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا]**[الأحزاب: 11]. فيظهر للمتأمل هنا أنّ الابتلاء لم يقع في ورود هذه الهواجس على القلب؛ إذ كانت خارجة عن الإرادة بسبب صعوبة المعطيات وكثرة العدوّ وتكاتفهم في حرب المسلمين. وإنما وقع الابتلاء في القدرة على دفع هذه الظنون، وعدم إخراجها من حيّز القلب -كما فعل المنافقون-، وجاء التعبير بالفعل المضارع في قوله: **[وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا]**؛ للإشارة إلى استمرارية[36] تعرض القلوب الإنسانية لهذه الهواجس والخواطر كلما تجددّت الفتن والأحداث الصعبة، في مقابل التعبير بالمضي وبناء الفعل للمجهول للتركيز على فعل الابتلاء بقوله سبحانه: **[هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا]** إيحاء بأنّ الابتلاء مهما عظم فإنه ينتهي، لكن شكل النهاية يقررها قلب الإنسان، فإما أن ينجو بفضل الله وتسلحه باليقين الصادق. وإما أن ينحى نحو المنافقين فيكون من أهل الكفر. كما أنّ مجيء هذه الأوصاف الدقيقة لأحوال القلب[37] في وقت الحرب يدلّ على أنّ الحرب هي من المجالات التي تُمتحن فيها القلوب امتحانات حاسمة تكشف حقيقة إيمانها. وقوله تعالى: **[وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا]** يشير إلى أنه حتّى مع هجوم الظنون والهواجس على القلب، لا يتركها القلب المؤمن دون دفع، ودون جهاد حتى ينتصر القلب المؤمن عليها، والنصر يقيني للمؤمن، بدليل أنّ الله I قدّم التذكير بنعمة النصر في ترتيب الآيات: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا**

نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا][الأحزاب: 9]، مع أنها خاتمة تلك التفاصيل من الخوف والظنون ليؤكّد أنّ كل هذه الصعوبات زائلة، ولا يبقى منها إلا معنى الثبات الذي هو طريق النصر. وهو مصداق قوله تعالى: **[وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ]**[الأعراف: 128].

وهذه الظنون حصلت للجميع[38] بدليل عدم الفصل بين أحوال أصحابها كما فصل في النتائج التي نتجت عن هذه الظنون، أي أنه لم يختلف الشعور بالكرب والهول من قلب إلى قلب، وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب وسلوك أصحابها. حيث تفرّع عنها ثلاثة أفرقة؛ المؤمنين، المنافقين، الذين في قلوبهم مرض. وقد قرن القرآن في كثير من المواضع بين المنافقين والذين في قلوبهم مرض؛ ليدُلّ على أنّ القلب هو وعاء هذه الأمراض وهي خفيّة مثل خفاء مجالها وهو (القلب[39]). كما أنّ هذا التصنيف قد جاء بناءً على حال القلب أولا، ثم المتابعة بقول أو فعل دلّ على هذا الحال.

وقد قال I في حق المؤمنين: **[هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا]**، فمجيء كلمة هنالك دلّ على أنّ هذا الانفعال القلبي لديهم لم يُجاوز المكان الذي هم فيه؛ ولذا سُمّي الانفعال المكاني[40]، الذي جاء ردّاً على المفاجأة التي لم يحسبوا لها بدليل (إذ) الفجائية في الآيات {إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ، إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ}. وأمّا في حق المنافقين فيظهر للباحثين أنّ انفعالهم قد جاوز المكان وتشعّب كتشعّب مشاعرهم وقلوبهم، وأنّ أفعالهم لم تكن مجرّد رد فعل لواقع الحرب، بل هي الترجمة العملية لما في قلوبهم، وما يؤكد ذلك قوله تعالى في سورة التوبة في حق المنافقين في وقت السلم وليس الحرب: **[لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ]**[التوبة: 57]. حيث إنّهم لم يستطيعوا كتمان نفاقهم، بل دلّوا عليه بأفعالهم، فهم مستعدون لترك هذا المكان الذي تجتمع فيه الفئة المؤمنة إلى أي مكان، ولو كان حقيرا كالملجأ أو مغارة أو سرباً في الأرض[41] يدخلون فيه. ويلحظ خفاء هذه الأماكن ودونيتها مثل خفاء حقائقهم ودونيّة أنفسهم. فلم يكتف القرآن بوصف استعدادهم للفرار إلى هذه الأماكن فحسب، بل وصفهم بسرعة جموح الفرس[42]. وهذا ما يدلّ على اضطراب قلوبهم، فعبّروا عن هذا الاضطراب بالانفعال الحركي[43] في السلم كما في هذه الآية، أو بالفرار في الحرب كما ذكر في هذه السورة.

إذن، يمكننا القول بأنه هناك ثلاث درجات من الانفعال- وجميعها تبدأ من القلب:

1) انفعال قلبي: أي انفعال القلب ضمن دائرة القلب، دون قول أو فعل يُظهر هذا الانفعال.

2) انفعال قولي: وهو انفعال القلب مع الإدلاء بأقوال تدل على هذا الانفعال. كقول المنافقين: **[مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا]**[الأحزاب: 12]، **[وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا]**[الأحزاب: 18]، **[وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا]**[الأحزاب: 18]، **[وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا]**[الأحزاب: 13] وأقوال أخرى.

3) انفعال حركي: وهو انفعال القلب انفعالاً زائداً يظهر أثره على الجوارح كردّ فعل، وهذا ما فعله المنافقون بالفرار من أرض المعركة **[قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا]**[الأحزاب: 16]. أو بالاستئذان **[وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا]**[الأحزاب: 13]. وقد

عبّر القرآن الكريم عن استعداد قلوبهم لكلّ هذه الدرجات من الانفعال بقوله: **[وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا]**[الأحزاب: 14]. فالفتنة هنا الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين(44)، وقد جاءت هذه الآية تكذيباً لهم في ادعاءهم أنّ بيوتهم عورة(45). فمجيء اللام المؤكدة في (لآتوها) وتعبير (ما تلبّثوا) إشارة إلى أنهم مستعدّون للفتنة بل ويسارعون إليها(46) على كل الأحوال، حتى لو كانت على حساب بيوتهم، بل هم للفتنة أسرع خطوات، ولا يبالون حينها ببيوتهم التي يدّعون الخوف عليها. إنما هم في ترقّب لأي مبرّر للفتّ في عضد الجماعة المؤمنة.

وفي وصف الانفعالات الطبيعية المتّسقة مع الواقع بالأفعال الماضية (زاغت الأبصار، بلغت القلوب الحناجر) ليؤكد أنها انفعالات فورية لم يلبثوا أن تغلبوا عليها بعون من الله I وبصدق قلوبهم، فغدت ماض انقضى مع انقضاءها. في حين وصف أفعال المنافقين بالأفعال المضارعة (يقول المنافقون...، ينظرون إليك تدور أعينهم...، ويستئذن فريق منهم... يحسبون الأحزاب...، يسئلون عن أنبائكم...) ليدلّ أنّ هذه الانفعالات طال استمرارها بقدر النفاق الذي كان في نفوسهم. فكأنّ استمرار ردود الأفعال إلى ما بعد الحدث يدلّ على عدم سويّتها وأنّ ثمة خللاً في قلب صاحبها. كما أنّ في قوله تعالى تأكيداً لذلك: **[أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا]**[الأحزاب: 19]. فالخوف في حق المؤمنين مجرد شعور تتفاعل معه قلوبهم تفاعلا طبيعياً يتّسق مع بشريتهم. لكنّ الخوف في حق المنافقين تجاوز مرحلة المشاعر وغدا كأنّه شخص يجيء، فانتقل الخوف من تلك الصورة القلبية الخفية إلى صورة شاخصة واضحة الملامح متحرّكة الجوارح، وهذا تهويل مخيلاتهم ودسائس السوء في قلوبهم. وما يؤكّد مبالغتهم في التعبير عن سوء دواخلهم قوله تعالى: **[فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ...]**[الأحزاب 19]. فالآية تنطق أنهم لم يتوقفوا عند انتهاء الخوف، بل تابعوا بثّ سمومهم التي تشرّبتها قلوبهم. وهذا التضخيم والتهويل لحقائق الأشياء مرض يعاني منه البعض فيقوده ذلك إلى سوء الظنّ والتهم حتى يبلغ به الأمر إلى الكبائر وسوء الظنّ بالله. وكذلك قوله تعالى: **[يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا]**[الأحزاب: 20] هو التصوير الحقيقي لاستمرارية الشك والنفاق في قلوبهم. فهم يظنّون أنّ الأحزاب لم ينهزموا(47)، مع أنّ صورة النصر تحقّقت أمامهم، حيث لم تستطع قلوبهم المريضة استيعاب صورة النصر وتحقّق وعد الله I وهذا مصداق قولهم: **[وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا]**[الأحزاب: 12]. ولهذا فهم غير قادرين بهذه القلوب المريضة على المواجهة في المعركة، ولذا قال I: **[وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا]** [الأحزاب: 18]. على نقيض من القلوب المؤمنة التي لمّا رأت النصر قالوا: **[وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا]**[الأحزاب: 22]. والمتأمل في آية **[يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا...]**[الأحزاب: 20]. يرى أنّ النفاق لم يستمر فقط باستمرار الأحداث، بل امتدّ إلى مخيلاتهم التي لا زالت تسيطر عليها أوهام الهزيمة، وكأنّ نفوسهم تتعلّق بهذه الهزيمة نكاية بالمؤمنين، فأشار القرآن إلى هذا التعلّق بهذا الوصف. وفي هذه الآية درس بليغ

للمؤمن ألا يستبعد رحمة الله مهما اشتدّت الأيام، وأن يتذكر الله وقت الفرج، ويشعر بألفة مع قدر الله الذي يتّسق مع رحمته ومع عمل وظنّ العبد به I.

ثمّ عاد إلى ذكر العهد مرة ثالثة في هذا المحور في حقّ المؤمنين: **[مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا]**[الأحزاب: 23]. فذكر الوفاء في حق المؤمنين بلفظ الصدق ليدلّ على موافقة أقوالهم لما في قلوبهم، في مقابل ذكر تعذيب المنافقين دون التصريح بإخلافهم للوعد لما ظهر من علامات نقضه ما أغنى عن ذكره بذكر العذاب **[لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا]**[الأحزاب: 24]. وقد زيد في عذاب المنافقين بإلقاء الحسرة في قلوبهم في قوله تعالى: **[وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا]**[الأحزاب: 25].

ويؤدي القلب هنا دوراً محورياً في هاتين الآيتين المتعلقتين بصدق الوفاء بالعهد، وذلك من خلال طرفي الآية:

1- الطرف الأول وهم الصادقون الذين قضوا نحبهم، من خلال التنويه بالصدق الذي هو موافقة الفعل والقول لما في القلب.
2- الطرف الثاني وهي الفئة الثابتة من الأحياء على العهد **[وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا]**[الأحزاب: 23]. والثبات محله القلب، وفي ذكر هذه الفئة التي لم تُبدّل تعريض بالفئة التي بدّلت من المنافقين ومرضى القلوب(48)، فالتبديل كذلك موطنه القلب.

وعاد إلى ذكر القلب مرة أخرى **[وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ]**[الأحزاب: 26] في الدلالة على أحداث غزوة بني قريظة(49)، بحيث لم يكن من جهتهم حراك فضلاً عن مخالفة وعصيان، بل أسلموا أنفسهم وأهليهم للقتل(50).

ويظهر أنّ في الآيتين المتتاليتين قوله تعالى: **[وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا]**[الأحزاب: 25]. وقوله تعالى: **[وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا]**[الأحزاب: 26] بياناً لحقيقة الأمن والخوف في القلوب؛ حيث إنّ القلوب المؤمنة لمّا سلّمت أمرها لله I رغم شيوع مظاهر الخوف، بل وتمكنها من أنفسهم (زاغت الأبصار، بلغت القلوب الحناجر، ابتلي المؤمنون وزلزلوا...) تغلّبت حقيقة الإيمان في قلوبهم على كل القوى المادية، فآمنهم الله من حيث لم يحتسبوا، وهذا الأمن تمثّل في قوله تعالى: **[وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ]**. بينما الذين ظاهروا الأعداء من أهل الكتاب ظانّين الأمن معهم لكثرتهم واجتماع جيوشهم أتاهم الخوف من حيث لم يحتسبوا **[وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ]**، وكذلك صار حالهم بين مقتول ومأسور. وبالتأمّل يُلحظ أنّ الخوف هنا في حق الكافرين جاء بصيغة مختلفة عن الخوف في حق المؤمنين، إذ جاء وصف الخوف في حق المؤمنين ب (بلغت القلوب الحناجر)، كردّ فعل طبيعي (لا إرادي) على الواقع، ولكن في حق الكافرين جاء وصف الخوف ب (قذف في قلوبهم الرعب) إشارة إلى أمر الله التكويني(51)، وكأنّ الخوف هنا زاد عن كونه ردّة فعل، وتضخّم حتّى ألجمهم عن القول والفعل، حيث بلغ بهم هذا الخوف أن أنزلهم من حصونهم المنيعة، وسلّموا أنفسهم للقتل والأسر دون ممانعة، والعطف بين الإنزال وقذف الرعب في قلوبهم، مع تأخير قذف الرعب عن الإنزال، مع أنه لا شكّ أنّ الرعب هو الذي أنزلهم من حصونهم؛ إذ أشعر هذا التقديم كأنهم نزلوا من الحصون دون أدنى تفكير، فدلّ التقديم على السرعة في الخضوع للمؤمنين، كما دلّ على الإذلال(52).

وحتّى تكتمل صورة القلب في هذا الموضوع لا بدّ من مراجعة مساره، حيث بدا ظله ومعناه في كلّ آية من الآيات إذ ذكر لفظ القلب فيها ثلاث مرات مما يدلّ على حضور القلب المكثّف؛ مرتين للدلالة على أنه وعاء للمشاعر -الخوف على الخصوص- (بلغت القلوب الحناجر، قذف في قلوبهم الرعب)، ومرّة للدلالة على اختلال النفس ومرضها بقوله تعالى: **[وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا]**[الأحزاب: 12]. وقد تولّدت الدلالة الثانية (دلالة اختلال النفس) من الإسراف في الدلالة الأولى (دلالة الخوف)؛ حيث إنّ المنافقين استغرقوا في مشاعر الخوف حتى هيأت لهم أنفسهم سوء الظنّ بالله، وهو مصداق قوله تعالى في سورة الفتح: **[بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا]**[الفتح: 12]. فكلمة وزيّن ذلك في قلوبهم تعني: متابعتهم الهواجس التي أنفسهم وخطرات السوء في قلوبهم، وفي هذا درس بليغ للفطن أنّ متابعة القلب في هواجسه طريق الفشل في الدنيا والآخرة. والقيام بدفع تلك الهواجس والخطرات هي جزء من الجهاد المأمورين به، ولا يدفع هذه الهواجس مثل العمل لله، وأن يتعبد الله بانتظار نتيجة العمل، وإن بلغت العوائق ما بلغت فإنها أمام الحقائق اليقينية التي يتسلح بها قلب المؤمن تذوب وتتراجع قواها.

وبهذا يكون الموضوع الأول في السورة قد أقام الأساس الصلب القلب وهو التسليم لأمر الله تعالى ولمنهجه، فإذا تعدّدت المناهج صار القلب شعثاً مريضاً غير مستقر _كما هو قلب المنافق_ في الموضوع الثاني. وكأنّ قوله تعالى: **[مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ..]**[الأحزاب: 4] في القضية الأولى يُظهر لاحقاً أنّ المنافقين ناقضوا حقيقة التكوين في ظنونهم وأقوالهم التي بدت فيها لهم قلوب غير قلوبهم الحقيقية. وفي تتابع الموضوعين ترتيب لأولويات تأسيس المجتمع المدني الجديد بإصلاح قلوب أفراده أولاً بتوحيد وجهة قلوبها ومناهجها، ووجه الخطاب للنبي ε بصفته قائد الأمة، ثمّ نبه على القدوة الحسنة الماثلة في شخصه تأكيداً على امتثاله لهذا الخطاب، وتحفيزاً للمؤمنين للمسارعة للامتثال. كما نبّهت على دسائس المنافقين ثانياً في الحرب كأبرز ملامح التغير على المجتمع المسلم آنذاك بوجود هذه الفئة المنافقة التي تنتمي إلى الكفر قلباً، وإلى الإسلام قالباً، الفئة التي لم ترتض توحيد قلوبها لله، فصار أمرها كله شعث كشعث قلوبهم.

المبحث الثاني:
ارتباط القلب بالقضايا المتعلقة ببيت النبوة.

المطلب الأول: ارتباط القلب بقضية تزكية نساء النبي ε.

يبدأ القلب في هذه القضية مساراً خاصاً يدور في فلك بيت النبيّ ε وأزواجه -رضوان الله عليهنّ-.

[يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا][الأحزاب: 32]. والمرض هنا مرض الشهوة[53]في غير موضعها. وتدلّ هذه الآية بمفهوم المخالفة أنّ أصحاب القلوب السليمة لا يطمعون في شهوة في غير موضعها، ولا يتطلّع سليم القلب إلى مقام لا ينبغي له. وعُرف مرض القلب بأنه: الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان[54]، وهو ما يتّسق تماماً مع مظاهر مرض القلب في القرآن. ومرض القلب إذا عُطف على النفاق فهو من عطف الخاص على العام[55] نحو قوله تعالى: **[وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا]**[الأحزاب: 12] أي إنّ المرض هنا ضرب من ضروب النفاق. وأما إذا جاء وحده فإنه يفسّر بحسب السياق الذي ورد فيه. ثمّ جاء قوله تعالى: **[... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ**

تَطْهِيرًا][الأحزاب: 33] بعد مجموعة من الأوامر الإلهية في شأن تحصين نساء النبي ε ليؤكّد أنّ طهارة البيت لا تكون إلا بطهارة القلب.. وكل الأوامر التي جاءت في الآيات (القرار في البيت، عدم التبرج، عدم الخضوع في القول، وأقمن الصلاة...) كانت مرهونة بشرط واحد وهو (إن اتقيتنّ). وكأنه عمد إلى كل تلك المادية الظاهرة في هذه الأفعال ووصلها بالقلب مباشرة لتكون نابعة منه، متصلةً بالله ممتدة إلى روح هذا الدين، هادمة بذلك كلّ الأسس الواهية المنفصلة عن تقوى الله، وهذا تصديق لعمود هذه السورة وروحها **[مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ..]**[الأحزاب: 4]، وفي ذلك درس للأمة أن تعيد ترتيب أولوياتها وأن تُقدّم إصلاح بواطن أفرادها على ظواهرهم، فإنّ الظاهر إذا لم يرتكز على أسس عميقة في القلب سقط مع أول ريح.

ثم أتى السياق بالمصدر الذي يُغذي القلب ليضمن استمرار هذه الطهارة **[وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا]**[الأحزاب: 34]. ومجيء فعل الذكر (واذكرن) لا يعني الضدّ وهو النسيان؛ لأنه يُتلى في بيوتهنّ آناء الليل والنهار، وإنما المقصود استحضار معانيه في كلّ أفعالهنّ حتى يبلغن حدّ الكمال في التقوى.

ثم عمّم الله الخير في قوله تعالى: **[إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا]**[الأحزاب: 35] ليعمّ أفراد الأمة كلها.

وهكذا تنسجم هذه الآيات مع مقصد السورة الأساس في إعادة تنظيم المجتمع المسلم على أسس أخلاقية سليمة من خلال أمرين: الأول: تخليص قلوب نساء النبي ε لله ورسوله من خلال أمر التخيير أي أن يكون قلبها خالصاً لله ورسوله باختيارها وتحمّل مشاقّ هذا الاختيار. والثاني: تطهير قلوب نساء بيت النبي ε من كل ما يثلم في عفّتهن؛ لأنّ النبيّ ε قائد هذه الأمة وحصنها الأول. وبطهارة بيت القائد الأول تطهر بقية بيوت المسلمين. فتفوت الفرصة على فئة المنافقين ومرضى القلوب بالنيل من هذا البيت.

المطلب الثاني: ارتباط القلب بقضايا زواج النبي ε.

ثم يجيء قوله تعالى: **[وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا]**[الأحزاب: 36]. وهي الآية التي طفقت أوائل السورة تمهّد لها تمهيداً قوياً ينتزع من القلوب كل اعتراض بسبب تجذّره في عادات العرب آنذاك، وكلّ مقالة يمكن أن تطال النبيّ ε بسبب زواجه من زوجة زيد τ.

وكأنّ السورة تعلمنا منهجاً فريداً في التعامل مع قلوب البشر، بأنه لا يمكن انتزاع أمر قد تجذّر في وعي الناس وقلوبهم وارتبط بوجدانهم – حتى لو كان ارتباطاً موهوماً- دون التمهيد لاقتلاع هذا الأمر من دواخلهم بممهّدات قوية تناسب قوّة ذلك الجذر. وتوافر بديلاً صالحاً لإحلاله محلّ ذلك الجذر. كما قدّم القرآن في بدايات السورة أبوة النبي ε وأمومة نسائهم للمؤمنين جميعاً، فجاء إبطال أبوّته لزيد بالتبني بعد هذا البديل الذي يفوقه قوة وصلاحاً.

وعلى تعدّد الروايات النازلة في قوله تعالى: **[وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا]**[الأحزاب: 36][56] إلا أنّ أولاها ما تعلّق بقصة زواج النبيّ ε من زينب، وهو ما يليق بتناسق موضوعات السورة وقضاياها، فيغدو قوله تعالى: **[مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ..]**[الأحزاب: 4] كالمقدّمة لها[57]، أي إنه إما أن يتبع الإنسان أوامر الله والرسول فيكون من المؤمنين، وإما أن يتّبع كافة أشكال المتبوعات من الهوى، والعادات البالية وغير ذلك فيكون من الكافرين. ولا يوجد توسّط بينهما. ويصدّق هذا قوله تعالى: **[لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ]**[الكافرون: 6]. وقد ذكرت الآية لفظ المعصية **[وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ]** ولم تذكر الطاعة في المقابل تأكيدا على انعدام الخيار في طاعة أوامر الله ورسوله، فكأنها أغفلت ذكر خيار الطاعة قاصدة انعدام الخيار فيها. وذكرت خيار المعصية تنبيهاً على أنّ الاختيار في هذا الموطن يعني الضلال؛ ولذا عقّبت جزاء المعصية بالتصريح بهذا الضلال **[وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا]**.

ويُلحظ استخدام الفعل كان في: **[وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ]**. ويصحّ مجيء الآية دونها، ولكن لما كان هذا الكلام كلام الله المعجز عُلم أنه لا شيء يأتي فيه عبثاً. وقد كثُر ورود هذا الفعل في هذه السورة -على الخصوص[58]. وقد ورد على هذه الصيغة في موضعين في هذه السورة؛ أولهما الآية السابقة والثانية قوله تعالى: **[وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا]**[الأحزاب: 53].

وبعد تتبّع الباحثين لمجيء (ما كان) مع الفعل المضارع في القرآن -كما هو هنا- فإنه إذا ورد في حق العباد فقد ورد في عظام الأمور وليس في صغارها كالشرك والقتل والتخلّف في المعارك وعمارة المشركين للمساجد...[59]. وغيرها... ومجيء الآية بصياغة لافتة للنظر (ما كان... إذا قضى... أن يكون...) يستدعي الوقوف. فكأنّ (قضى) تعبير بالماضي المتحقق ليُشعر بانعدام الخيار فيه، ومجيء الفعل المضارع يكون، وكان يصح أن يُقال ما كان لهم الخيرة من أمرهم.. وانتهى. ولكن لإرادة أن تكون هذه الآية مع خصوص قصتها قاعدة عامة تُطبق في كل الحوادث والأزمنة أتى بالفعل المضارع الدال على التجدّد، حتى لا يشعر أنّ انعدام الخيار فقط في هذه القصة، وإنما في كل ما قضى الله به ورسوله. فالقضاء نافذ لا تعديل عليه بدلالة إيثار الماضي، والخيار أبدا لا يكون كلما كان هناك أمر لله ورسوله. فالأمر مقضيّ لا جدال، ولذا أشار اللغويون أنّ كان إن سبقه (ما) وتبعه فعل مضارع – على صيغة ما كان أن يكون_ فإنه يدلّ على وقت الحاضر أو المستقبل[60]. ويظهر للباحثين بعد تتبّع ورودها في القرآن أنّ (كان) التي تأتي بعد ما (إن وردت في حقّ العبد)[61] تأتي لتنتزع من قلب الإنسان كلّ سبيل يسلك به لهذا الذنب، وكلّ عذر يمكن أن يهيئه له الشيطان. فمجيئها مُشعرُ بسوء الفعل عقلاً وشرعاً[62]. وكثرة هذا الفعل في السورة تتواءم مع غاية السورة الأساس في تخليص القلب لله من كلّ شائبة. كما يدلّ كثرة ورود هذا الفعل على استئصال جذري لما علق بالقلب من اقتراف مثل هذه المعاصي لدلالة الفعل (كان) على الوجود[63]. نحو **[مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا]**[الأحزاب: 40]، **[مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا]**[الأحزاب: 38]. وكأنّ كلمة كان جاءت بقوّة الماضي في التحقيق والانقطاع لتنتزع بهذه القوّة ذلك الادّعاء الذي مهما ادّعوا أنّ له جذوراً، فإنه لا أرض له ولا جذر، ولذلك (ما كان). وقد ورد في كلام ابن بري ما يؤكّد هذا "إنّ كان تدلّ على تقديم الوصف وقدمه، وما ثبت قدمه استحال عدمه"[64].

فذكر فعل الكون هنا جاء ليدلّ على أنّ ما تضمّنه من معنى، يُراد أن يكون وصفاً متمكّناً منهم، لا يحيدون عنه[65]. ويُلحظ تقديم خبر كان (لمؤمن ولا مؤمنة) على اسمها (أن يكون)[66]، ويظهر أنّ هذا التقديم قد جاء ليكون الإيمان الكامن في القلب هو مصدر الرضا بقضاء الله ورسوله، فقدّم ما حقّه التأخير ظاهراً، إلا أنه مُقدّم حقيقة ومنطقاً إذ الإيمان هو الأصل، والرضا بقضاء الله ورسوله فرع ذلك الأصل. وفي هذا تتبيّن محوريّة القلب في السورة، فهي تهيء القلوب لتلقّيها الأوامر والنواهي، ولذا ناداهم بالصفة التي لا يجد معها السامع بدّاً من الطاعة الكاملة: **[وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ]**.

وجاءت الآية التالية لتُحلّ الخشية في القلب **[وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا]**[الأحزاب: 37]. فهي كواسطة عقد

في معاني هذه السورة التي جاءت لتسدّ كل ثغرة يمكن أن يجد فيها المنافقون ضالتهم، وجاءت بالاحتياط بالوسيلة كما هو الشأن في تحصين نساء النبي ε، فجاء التنبيه بـ **[وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ]** لئلا يصير إرجاف المنافقين عائقاً أمام المؤمنين من ممارسة شؤون حياتهم الطبيعية، والاستمتاع بالطيّبات. وإنما يكون الحذر في الشبهات (كالتبرّج والخضوع في القول وغير ذلك). ومما سبق يمكن القول إنّ الآيات السابقة تقدّم منهجاً متكاملاً في الحفاظ على توازن القلب من الاختلال جراء ضغط الآخرين، أو الخوف من أذاهم. وقد اتضح من الآيات أنّ المنافقين شكّلوا قوة ضاغطة على رسول الله ε خصوصاً، وعلى المسلمين عموماً، فجاءت الآيات لتقتلع جذور هذه القوة من القلب التي يُهيّأ له تمدّدها لتطال خصوصيات الإنسان في حياته الشخصية، ليشكّل القرآن الطريق الصحيح لتنظيم علاقة الإنسان بربه وبأطياف مجتمعه[67]، وأنّ الأولى حاكمة على الثانية. فتزوّج النبي ε بزوجة الابن المتبنّى وتحقّق تقديم خشية الله فعلاً بهذا الزواج، فوافقت الآيات هذا الفعل بالقول الذي تقدّمت فيه خشية الله على خشية الناس. إذ قال تعالى بعد التصريح بحدوث هذا الزواج: **[فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا]**، **[الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا]**[الأحزاب: 39] وبهذا تتجلّى بلاغة التقديم والتأخير بين خشية الله وخشية الناس.

وقوله تعالى: **[وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ]** تأكيداً للمبدأ الذي أقرّه صدر السورة: **[مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ..]** ويُلحظ أنه قدّم هنا النهي خشية الناس على الأمر خشية الله، بينما في مواضع أخرى كان العكس، والسر في ذلك -كما يظهر- أنّه لمّا علق بالقلب هنا شيء من خشية الناس وهم المنافقون هنا[68]، قدّم التخلية على التحلية، بينما في المواضع التي جاءت -وفق الأصل- فقد كانت القلوب صافية من تلك العلائق نحو قوله تعالى: **[الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا]**[الأحزاب: 39].

ثم يأتي ذكر القلب مرة أخرى بلفظه، وكل ذكر للفظه دعوة ضمنية لقلوب المخاطبين للحضور المكثّف، فقال تعالى: **[تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا]**[الأحزاب: 51]. فبعد أن اخترن زوجاته الله ورسوله حين نزلت آية التخيير جاءت هذه الطمأنة من الله لقلوب زوجات النبي ε وجبر خواطرهنّ **[ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ]** جزاء لهنّ على حسن الاختيار[69]. وهذا الجزء من الآية يبوح برحمة الله وفضله حيث يعتني بقلوب عباده لتقرّ وترضى وتفرح بقرب الله وعنايته. ثم أتى قوله: **[وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ]** ليعلمنا أنّ القلب في أسمى مقاماته لا يخلو من تلك النوازع البشرية، والخواطر الفطرية التي يعفو عنها الله بحلمه بعد علمه، ولذا ذيّل الآية بقوله: [وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا] ليظلّ العبد قائماً مقام الحياء من ربه[70]. كما أنّ التنبيه على علم الله رسالة للسعي في دفع خواطر السوء التي يمكن أن ترد عليه ما أمكن وتحسين ما في القلوب[71]. والإتيان بالفعل المضارع (يعلم) يراد منه تعهّد القلب بالعناية الدائمة والمتجدّدة، ليظلّ القلب موصولاً بالله، ولا يكون كذلك إلا في اللحظات التي يصفو فيها بجهاده المستمر. وزاد في جبر خواطر نساء النبي ε بقوله تعالى: **[لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا]**[الأحزاب: 52].

المطلب الثالث: ارتباط القلب بالنهي عن الأذى في حق النبي ε وزوجاته والمؤمنين.

عنيت آيات هذا المطلب بتحصين بيت النبوّة من كلّ عوارض الأذى كدخول بيت النبيّ ε دون إذن: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا]**[الأحزاب: 53]. إذ قدّمت هذه الآية خطوات مادية للحصانة القلبية، كعدم دخول بيت النبي بلا إذن، وعدم إطالة المكث عنده، وسؤال زوجاته لأي أمر يحتاجونه من وراء حجاب. ويمكن اعتبار هذه الآية منهجاً عملياً في حماية القلب – حماية مجتمعية[72]- بثلاث خطوات يمكن فهمها في إطار عام -بغض النظر عن خصوصيتها ببيت النبي ε؛ ولأنه تبعها العموم في قوله تعالى: **[وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا]**[الأحزاب: 58]. الأولى: عدم دخول البيوت بلا إذن؛ إذ إنّه مظنة الاطلاع على عورات النساء، وعدم إطالة المكث فيها؛ لأنّ الإطالة تتسبّب بما يتسبّب به الدخول. والثالثة: الكلام مع النساء في هذه البيوت من وراء حجاب – ولا يشترط أن يكون الحجاب هنا شيئاً محدّدا إذا أردنا توجيهه إلى نساء الأمة؛ لأنه يتحوّط في حق نساء النبي ما لا يتحوّط في شأن النساء عموماً، وذلك للتيسير لا لإطلاق النظر والحديث مع النساء بلا قيد، ولا يخلو ذلك القيد من معنىً للحجاب، فتحجُب هذه القيود خواطر السوء عن القلب ما أمكن. وارتباط هذه الخطوات المادية بطهارة القلب يؤكد حقيقة تقلّب القلوب التي لا تثبت على حال، والتي قد يغيّر حالها نظرة أو موقف أو كلمة. وقد تحرّزت الآية من النظرة بإذن الدخول، ومن الموقف بالنهي عن إطالة المكوث، ومن الكلمة بالسؤال من وراء حجاب.

ومما يستوقف الناظر في هذه الآية قوله تعالى: **[ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ]** إذ شرّك في الطهارة بين قلوب الصحابة – رضوان الله عليهم – ونساء النبي ε والطهارة حاصلة في قلوب الفريقين[73]، فقيل: إنّ المعنى أكثر تطهيراً[74]. إلا أنّ هذا التشريك لا يخلو من لفتات لما كان المقصود بهذه القلوب قلوب أقرب الناس لرسول الله ε؛ إذ إنّ القلوب مهما علت وارتفعت فهي لا تبلغ التمام دون التشريع الإلهي المحيط بهذه القلوب ومداخلها وخواطرها وخباياها. وفي ذلك ردّ على المتفيهقين الذين يدّعون الطهارة بطبيعة الحال، والاستغناء عن هذه التشريعات الربانية **[أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ]**[الملك: 14]. وأنّ تلك الاحترازات المادية التي سنّها التشريع إنما هي الوسيلة التي تتحقّقُ بها الثوابت القلبية. لإغلاق الطريق على الفئة المريضة التي لا ثوابت لها **[لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا]**[الأحزاب: 60]، وجاء قوله تعالى: **[إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا]**[الأحزاب: 56] لملأ قلوب العباد رضاً عن هذه الأوامر، وأنّ حفاوة النبي قائمة في السماء، فكيف تنقص في الأرض؟!

وفي هذه الآية دعوة ضمنية لكل قلب ليأخذ بما أخذت به قلوب الصحابة الأوائل ونساء النبي ε الطواهر إذا أراد سلامة الدنيا والدين، وتمام طهارة الأولين. وهذا معنى استمرار تلاوة الآيات على مسامع اللاحقين، ومعنى افتتاحها بجواز العبور إلى مضامينها بـ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}. وتأكّد ذلك بتعميم الحماية لنساء الأمة كلها: **[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا]**[الأحزاب: 59]. وجاءت العلة واحدة وهي الأذى. وفي هذا التشريك بين قلوب الطرفين أيضاً دعوة لأن يتعاضد رجال الأمة ونساءها لتحقيق الطهر المجتمعي العام، وأنّ الطرفين شركاء فيه.

وتؤكد الآيات هنا أنّ أول وأعظم البؤر التي يستطيع المنافقون أن يكيدوا فيها للمسلمين هي البؤرة الأخلاقية، ولذا استدعت الآيات قلوب المؤمنين والمؤمنات ليسدّوا كل ثغرة يمكن أن ينفد منها مرضى القلوب. ويلحظ أنّ الأمر كله قائماً على القلب، علة ودواءً، وكأنّ الآيات تشير إلى أنّ مرتع القلوب المريضة هي القلوب التي تساهلت في حدود الله فسهُل العبور إليها.

وفي هذا الجزء من آيات السورة يتضح التمازج المقصود بين التشريعات الإلهية، والمشاعر البشرية؛ لتنفذ تلك الأحكام إلى أعماق القلوب فتستقرّ علماً وعملاً، ويمتزج القلب بالنفحة السماوية من خلال تلك الأحكام المادية كالستر والحجاب وغيرها. واستخدام لفظ المرجفين معطوفة على المنافقين ومرضى القلوب **[لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا]**[الأحزاب: 60]. يدلّ على أمرين؛ أنّ العلة بين الفئات الثلاثة مشتركة وهي علة قلبية، كما يدلّ العطف على أنّ لكلّ فئة داء يختلف عن الأخرى. وأصل الإرجاف هو: الزلزلة[75]، وصفة هؤلاء المرجفين -كما ورد في التفاسير- "قوم كانوا يخبرون المؤمنين بما يسوءهم من عدوهم"[76] وورد عن ابن عباس τ أنّ الإرجاف هو التماس الفتنة[77]. وكأنّ هذه الفئة تتعمّد زلزلة المجتمع الإيماني من النقطة الإنسانية الأضعف – وهي النساء-. و تقابل فئة المعوّقين في الحرب **[قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ...]**، ولكن استخدم لفظ الإرجاف الذي يدلّ على الاضطراب الشديد والزلزلة[78]. وهو يلتئم مع عين مراد المنافقين الذي يهدف إلى زلزلة بنيان الإيمان في قلوب المؤمنين، وزلزلة البنيان الأخلاقي في المجتمع. فيتبيّن أنّ التهيئة القلبية في سورة الأحزاب والتوصيف الدقيق لأمراض القلب يقصد بشكل رئيس تحقيق الثبات القلبي المجتمعي، لتفويت الفرصة على هذه الفئات لمرضى القلوب.

الخاتمة.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1- اعتنت السورة بالقلب عناية خاصة ذات شقين: بالقلب من حيث تطهيره وتزكيته ليكون أساساً صلباً في الدعوة الإسلامية. وبكشف خبايا ودسائس القلوب المريضة والمنافقة لتفويت الفرصة عليهم، والمحافظة على كيان المجتمع المسلم وطهارته. والعلاقة بين الشقين طردية فالخلل في تحقيق الشق الأول أدى إلى ظهور الأمراض كما في الشق

الثاني، ولذلك التهيئة القلبية في سورة الأحزاب، والتوصيف الدقيق لأمراض القلب يقصد بشكل رئيس تحقيق الثبات الأخلاقي والطهر العام في المجتمع.

2- تؤكد السورة أنه لا يخفف عن القلب ثقل المهمات والصعوبات مثل التوكل على الله، وأنّ عبادة التوكل كفيلة بتحويلها إلى طاقة إيجابية ونتائج إيجابية، ولذا حفلت السورة بلفظ التوكل، ووردت فيها عبارة {وكفى بالله وكيلا} مرتين من أصل ثلاث مرات في القرآن الكريم.

3- أسست السورة لمبدأ حرية القلب واختياره، وحماية هذا الاختيار. وظهر ذلك في آية تخيير نساء النبي ε. فلا قيمة شرعية لأي فعل مادي لم يتصل بالقلب.

4- إخلاء القلب من التصوّرات الخاطئة يجب أن يرافقه إرساء تصوّرات جديدة قادرة على ملأ ذلك الفراغ من القلب.

5- بيّنت الآيات أنّ القلب في أسمى مقاماته لا يخلو من النوازع الفطرية والبشرية التي يعفو الله عنها بحلمه بعد علمه؛ ليظلّ العبد قائماً مقام الحياء من ربه يرجو عفوه.

6- تهدف جميع قضايا سورة الأحزاب إلى بناء القلب المسؤول القادر على مدافعة الهواجس والظنون وعدم إتْباعها بسلوكيات غير مسؤولة -كما فعل المنافقون-.

وتوصي الدراسة بما يلي:

1- دراسة المنظومة الأخلاقية في سورة الأحزاب.

2- دراسة ملامح التوازن النفسي في سورة الأحزاب.

3- دراسة الاضطرابات النفسية في شخصية المنافقين من خلال سورة الأحزاب.

الهوامش.

(1) ينظر: الزركشي، محمد بن عبدالله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، دار المعرفة، بيروت- لبنان، (ط1)، 2010م، ج1، ص62.

(2) مسلّم، مصطفى، **مباحث في التفسير الموضوعي**، دار التدمرية -الرياض، (ط1)، 2009م، ص28.

(3) ينظر: الرافعي، مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دارالكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2004م، ص256.

(4) ينظر: الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، ط:7، مكتبة وهبة- القاهرة، ج1، ص265.

(5) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار الفكر، بيروت-لبنان، ج12، ص170.

(6) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب ب (مرتضى)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (ط2)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج4، ص68.

(7) ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار الفكر، بيروت - لبنان، ج12، ص170.

(8) ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج5، ص17.

(9) ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار الفكر، بيروت - لبنان، ج12، ص170.

(10) الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، برقم 2140، وأحمد، 19/ 160، برقم 12107، ومصنف بن أبى شيبة، 11/ 36، برقم 31044، وشعب الإيمان للبيهقى، 2/ 209، ومسند أبي يعلى، 6/ 359، والمختارة للضياء المقدسي، 2/ 458، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم 2140.

(11) الحدري، خليل بن عبدالله، **منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم**، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. حامد بن سالم ابن عائض الحربي، جامعة أم القرى، قسم التربية الإسلامية، 2001م، ص54.

(12) ينظر: حجازي، علي سعد علي، **تهذيب النفوس للقرب من الملك القدوس**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص147.

(13) أبو عيشة، جبر أحمد، **القلوب ونظائرها في القرآن -دراسة موضوعية-**، رسالة ماجستير، إشراف د. عبد السلام حمدان، الجامعة الإسلامية -غزة، 2008م، ص20.

(14) ينظر: المصدر السابق، ص20.
(15) ينظر: الجوزو، محمد علي الجوزو، **مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة**، دار العلم للملايين، بيروت، (ط1)، 1980، ص186.
(16) ينظر: بركات، صالح سلامة محمود، **العلاقة بين القلب والعمليات العقلية في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير إشراف د. حسن الحياري، جامعة اليرموك، 1995م، ص32.
(17) ينظر: أبو موسى، محمد محمد، **من أسرار التعبير القرآني- دراسة تحليلية لسورة الأحزاب**، (ط3)، المؤسسة السعودية بمصر- القاهرة، 2012م، ص6.
(18) ينظر في قطب، إبراهيم حسين الشاذلي، **ظلال القرآن**، دار الشروق- القاهرة، (ط34)، 2004م، ج21، ص2817.
(19) ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج21، ص2820.
(20) ينظر نصيرات، د. جهاد، **الألفاظ التي انفردت بها سورة الأحزاب -دراسة دلالية موضوعية**، -قسم أصول التفسير-، الجامعة الأردنية، بحث منشور، مجلة جامعة مؤتة، 2014م، ص9.
(21) ينظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، دار السلام- القاهرة، ط:6، 1424ه، ج8، ص379.
(22) ينظر: البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، 1984م، ج21، ص273.
(23) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، اعتنى به وخرج أحاديثه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، (ط3)، 2009م، ج21، ص847.
(24) ينظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري، **مفاتيح الغيب – التفسير الكبير**، دار الفكر-لبنان، (ط1)، 1981م، ج25، ص192.
(25) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر- القاهرة، (ط1)، 2001م.
(26) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية- تونس، 1984م، ج21، ص254.
(27) ينظر: أبو موسى، محمد محمد أبو موسى، **من أسرار التعبير القرآني لسورة الأحزاب**، ص82.
(28) ينظر: المصدر السابق، ص82.
(29) ينظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري، **مفاتيح الغيب – التفسير الكبير**، دار الفكر-لبنان، (ط1)، 1981م، ج25، ص192.
(30) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية- تونس، 1984م، ج21، ص254.
(31) ينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد والشيخ علي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (ط1)، 1993م، ج7، ص209.
(32) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج25، ص199.
(33) الغزالي، أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (ط1)، 1971م، الباب السادس، في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء، ج1، ص71.
(34) ينظر: إسماعيل، أسامة، **العلاج النفسي بين الطب والإيمان**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص21.
(35) ينظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (ط1)، 2001م، ج4، ص373.
(36) ينظر: الآلوسي، شهاب الدين محمد بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (ط1)، 1415هـ، ج11، ص155.
(37) ينظر: شحروج، ابتهاج ياسر عيسى، **القلب في القرآن -دراسة موضوعية-**، رسالة ماجستير، إشراف: د.خالد علوان، جامعة النجاح الوطنية- نابلس، 2011م، ص200.
(38) يرى بعض المفسرين أنّ الظنون هنا مختلفة باختلاف أصحابها (مؤمنين أو منافقين): ينظر: الزمخشري، الكشاف، الآلوسي، **روح المعاني**، **الطبرسي**. ولا يرى الباحثان هذا الفصل، بل الأولى أنّ هذه الظنون طالت الجميع.
(39) ينظر: شحروج، ابتهاج ياسر عيسى، **القلب في القرآن**، ص196.
(40) ينظر: أحمد، عطية سلمان، **اللغة الانفعالية بين التعبير القرآني والنصّ الشعري**، دار المنهل، 2017م، (ط1)، ص97
(41) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر- القاهرة، (ط1)، 2001م، ج11، ص503.

(42) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج15، ص98.
(43) ينظر: أحمد، عطية سـليمان، **اللغة الانفعالية بين التعبير القرآني والنص الشـعري**، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة-مصر، (ط1)، 2017م، ص87.
(44) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ص851.
(45) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص286.
(46) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ص851.
(47) ينظر: النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل المسمى ب تفسير النسفي**، تحقيق: يوسف علي بديوي ومحي الدين مستو، دار الكلم الطيب، بيروت- لبنان، (ط1)، 1998م، ج3، ص24.
(48) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ص853.
(49) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج7، ص216.
(50) ينظر: أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، (ط1)، ج7، ص100.
(51) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص 311.
(52) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج21، ص302.
(53) ينظر: ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، **الضوء المنير على التفسير**، جمعة علي الصالحي، مؤسسة النور للنشر- الرياض، ص27.
(54) ينظر: الراغب، أبا القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، **مفردات غريب القرآن**، دار القلم- دمشق، (ط1)، ص79.
(55) ينظر: فرحات، أحمد حسن، **الذين في قلوبهم مرض**، دار البشير للطباعة، 1987م، (ط1)، ص23.
(56) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج، 19، ص112.
(57) ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (ط1)، 1957م، ج8، ص78.
(58) ينظر: نصيرات، د. جهاد، شخصية القائد.
(59) (ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا...)، (ما كان لنا أن نشرك بالله...)، (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله...).
(60) ينظر: الريحاني، محمد عبدالرحمن، اتجاهات التحليل في الدراسات اللغوية، دار قباء للنشر- القاهرة، ص297.
(61) لأنها ترد في حق الله I، فتختلف الدلالة نحو (ما كان الله ليضـيع إيمانكم...)البقرة 143، (وما كان الله ليطلعكم على الغيب...) 179 آل عمران، (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه...)179 آل عمران، (وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم) الأنفال 33 وغيرها من الآيات.
(62) ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج4، ص385.
(63) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج22، ص27.
(64) الزركشـي، بدر الدين أبي عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله، **البرهان في علوم القرآن**، علّق عليه وخرّج أحاديثه: مصـطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ص774.
(65) ينظر: البحيري، إيمان شـعبان جودة، **تعدّد الدلالة الزمنية لكان وتوجيهها للمركّب الفعلي في القرآن الكريم**، بحث منشـور، مجلة كلية الآداب، عدد:3، 2016م، دار المنظومة، ص286.
(66) ينظر الشافعي، سليمان بن عمر العجيلي، **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ج6، ص.173
(67) ينظر: الزحيلي، وهبة، **القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية**، دار الفكر-دمشق، (ط1)، 2013م، ص99.
(68) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص33.
(69) ينظر: التسهيل لابن جزي، ج2، ص193.
(70) ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن عبد القادر، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1995م، ج6، ص256.
(71) ينظر: المراغي، أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، الناشر: مصطفى البابي الحلبي بمصر، (ط1)، 1946م، ج22، ص25.
(72) ويقصد بالحماية المجتمعية هنا، حماية أفراد المجتمع من التسبّب في الأذى لبعضهم في مسألة النساء.

(73) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج22، ص91.
(74) الصالح، محمد أديب، **معالم في الغاية والمنهج**، (ط2)، مكتبة العبيكان، 2001م، ص453.
(75) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج6، ص111.
(76) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصـــرية، (ط2)، القاهرة، 1964م، ج14، ص245.
(77) **المصدر السابق**، ج14، ص245.
(78) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج6، ص111.

مصادر الرومنة.

- ʾAbā Al-Suʿūd, Muḥammad b. Muḥammad Al-ʿAmādī. **Guidance of the proper mind to the benefits of the Holy Book**, Beirut-Lebanon, Dar Reviving Arab Heritage, vol.7, p.100
- ʾAbā Ḥayyān, Muḥammad b. Yūsuf b. ʿAlī b. Yūsuf (1993). **The surrounding sea in the interpretation**, Investigated by: al-Shīkh ʿĀdil ʾAḥmad & al-Shīkh ʿAlī Muḥammad, Beirut-Lebanon, Dar al-kutub al-Ilmiyya, vol.7, p.209
- ʾAba Mūsa, Muḥammad Muḥammad (2012). **From the Secrets of Quranic Expression - An Analytical Study of Surat Al-Ahzab** , 3rd ed., Cairo, The Saudi Foundation in Egypt, p.6
- ʾAbū ʿIsha, Jabr ʾAḥmad (2008). **Hearts and their counterparts in the Qur'an - an objective study** - Master's thesis, Supervisor d. ʿAbdu Al-Salām Ḥamdān, Gaza, Islamic University, p.20
- ʾAḥmad, ʿAṭiyya Sulaymān (2017). **The emotional language between Quranic expression and poetic text**, Cairo, Modern Academy of University Books, p. 87
- ʾAḥmad, ʿAṭiyya Sulaymān (2017). **The emotional language between Quranic expression and poetic text**, Dar Al Manhal, p. 97
- Al-Ālūsī, Shihāb Al-Dīn Muḥammad b. ʿAbdu Allah Al-Ḥusynī. **The spirit of meaning in the interpretation of the Qur'an and the Seven Al-Muthani**, Investigated by: ʿAlī ʿAbdu Al-Bārī, t:1, Beirut-Lebanon: Dar al-kutub al-Ilmiyya,1415 AH (1st ed.), vol.11, p. 155
- Al-Biqāʿī, Burhān al-Dīn ʾIbrāhīm b. ʿUmar (1984). **Arrange the pearls in proportion to the verses and the surahs**, Cairo: Islamic Book House,vol.21, p. 273
- Al-Buḥyrī, ʾĪmān Shaʿbān Jūda (2016). Multiple temporal connotations of Kan and its orientation to the actual compound in the Quran, Published research **Journal of the Faculty of Arts**, Dar al-manẓūma, 2016, iss.3, p.286
- Al-Dhahabī, Muḥammad Ḥusayn. **Interpretation and commentators**, 7 ed., Cairo: maktaba wahba, vol. 1, p. 265
- Al-Ghazālī, ʾAbū Ḥāmid (1971). **The Revival of the Religion Sciences**, 1st ed., Beirut-Lebanon, Dar al-kutub al-Ilmiyya, vol.1, p. 71
- Al-Ḥadarī, Khalīl b. ʿAbdu Allah (2001). **The Methodology of Scientific Thinking in the Qur'an**, Ph.D. Thesis, Supervised by: Dr. Ḥāmid b. Sālim b. ʿAāʾiḍ Al-Ḥarbī, Umm Al-Qura University, Department of Islamic Education, p. 54

- Al-Jūzū, Muḥammad ʿAlī Al-Jūzū (1980). **The concept of mind and heart in the Qur'an and Sunnah**, 1st ed., Beirut, House of Science for Millions, p.186
- Al-Marāghī, ʾAḥmad Muṣṭafa (1946). **Interpretation of the Maraghy**, 1st ed., Cairo, Muṣṭafa al-Bābī al-Ḥalabī. Vol. 22, p. 25
- Al-Nasfī, ʿAbdu Allah b. ʾAḥmad b. Maḥmūd (1998). **Download Cognition and Interpretation Facts (Nasfy's Interpretation),** Investigated by: Yūsuf ʿAlī Bidywī & Muḥyī Al-Dīn Mustawa, 1st ed., Beirut-Lebanon, Dar al-kalm al-tayb, vol. 3, p. 24
- Al-Qāsimī, Muḥammad Jamāl Al-Dīn(1957). **Advantages of interpretation**, Investigated by: Muḥammad Fuʾād ʿAbdu Al-Bāqī, 1 st ed., Beirut-Lebanon, Dar al-kutub al-Ilmiyya, vol.8, p. 78
- Al-Qurṭubī, ʾAbū ʿAbdu Allah Muḥammad b. ʾAḥmad b. ʾAbī Bakr (1964). **The whole of the provisions of the Al-Quran**, 2nd ed., Cairo, Egyptian Book House, vol. 14, p. 245
- Al-Rāfiʿī, Muṣṭafa Ṣādiq (2004). **The miracle of the Quran and the Prophet**, Beirut-Lebanon, Dar al-kutub al-Ilmiyya, p. 256
- Al-Rāghib Al-ʾAṣfahānī, ʾAba Al-Qāsim Al-Ḥusayn b. Muḥammad al-maʿrūf bil- Rāghib Al-ʾAṣfahānī. **The vocabulary of the Quran**, t:1, Damascus, Dar al-qalam, 1st ed., p.79
- Al-Rayḥānī, Muḥammad ʿAbdu Al-Raḥman. **Trends of analysis in language studies**, Cairo, Qabaa Publishing House, p. 297
- Al-Rāzī, Muḥammad b. ʿUmar b. Al-Ḥasan Al-Tamymī Al-Bakrī (1981). **Keys to the Unseen - The Great Interpretation**, 1st ed., Lebanon, Dar Al-Fikr, part: 25, p: 192
- Al-Ṣāliḥ, Muḥammad ʾAdīb (2001). **Parameters in extremity and curriculum**, 2nd ed., Obeikan Library, p. 453
- Al-Shāfiʿī, Sulaymān b. ʿUmar Al-ʿUjylī. **Divine consumption explaining the interpretation of the Jalalin for the hidden minutes**, Investigated by: ʾIbrāhīm Shams Al-Dīn, Dar al-kutub al-Ilmiyya, vol.6, p. 173
- Al-Shaqnyṭī, Muḥammad Al-ʾAmīn b. Muḥammad b. ʿAbdu Al-Qādir (1995). **The lights of the statement in the clarification of the Quran**, Beirut-Lebanon, vol.6, p. 256
- Al-Ṭabarī, Muḥammad b. Jurayr (2001). **The Collector of the Statement in the Interpretation of the Quran**, Investigated by: ʿAbdu Allah b. Al-Muḥsin Al-Turkī, 1st ed., Cairo, Dar Hajar
- Al-Zamakhsharī, Maḥmūd b. ʿUmar b. Muḥammad Al-Khawārizmī (2009). **Scout for download facts and word eyes in interpretation faces**, took care: Khalīl Maʾmūn Shīkha, 3rd ed., Beirut-Lebanon,House of Knowledge, vol.21, p. 847
- Al-Zarkashī, Muḥammad b. ʿAbdu Allah b. Bahādir (2010). P**roof in the science of the Quran**, Beirut-Lebanon, House of Knowledge, part 1, p. 62
- Al-Zibydī, Muḥammad b. ʿAbdu Al-Rāziq Al-Ḥusaynī al-mulaqqab bi (Murtaḍa). **Crown of the bride of dictionary jewels**, 2nd ed., Beirut-Lebanon, Dar al-kutub al-Ilmiyya, p.4, p. 68

- Al-Zuḥaylī, Wahba Al-Zuḥaylī (2013). **The Holy Quran is legislative and cultural properties**, 1 st ed., Damascus, Dar Al Fakr, p. 99
- Barakāt, Ṣāliḥ Salāma Maḥmūd (1995). T**he relationship between the heart and mental processes in the light of the Holy Qur'an**, Master's Thesis Supervisor d. Ḥasan Al-Ḥayarī, Yarmouk University, p. 32
- Faraḥāt, ʾAḥmad Ḥasan (1987). **Those in whose hearts is a disease**, Dar Al Bashir for printing, p. 23
- Ḥawa, Saʿīd (1424 AH). **Basis of interpretation**, 56 ed., Cairo, dar al-salam, vol. 8, p. 379
- Ḥijāzī, ʿAlī Saʿd ʿAlī. **Deconstruction of souls to the proximity of King Al-Qudus**, Beirut-Lebanon, Dar al-kutub al-Ilmiyya, p.147
- Ibn ʿAashūr, Muḥammad Al-Ṭahir, **liberation and enlightenment**, Tunisian House, Tunisia, 1984, vol.21, p.254
- Ibn ʿAaṭiyya, ʿAbd Al-Ḥaqq b. Ghālib b. ʿAaṭiyya Al-Andalusī, **The brief editor in the interpretation of the dear book**, Investigated by: ʿAbdu Al-Salām ʿAbdu Al-Shāfī Muḥammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, (1st ed.), 2001, vol.4, p.373.
- Ibn Fāris, ʾAḥmad b. Fāris b. Zakariyā, **Dictionary of language standards** (in Arabic), Investigated by: ʿAbdu Al-Salām Harūn, Dār al-fikr, vol.5, p.17
- Ibn Jazy, **facilitation**, vol.2, p.193
- Ibn Manẓūr, Jamāl Al-Dīn Muḥammad b. Makram. **Arabes Tong**, Dar Al-Fikr, Beirut-Lebanon, vol. 12, p.170
- Ibn Qayim Al-Jūziya, Shams Al-Dīn ʾAbī ʿAbdu Allah Muḥammad b. ʾAbī Bakr, **Illuminating Light on Interpretation** (in Arabic), Investigated by: Jumʿa ʿAlī Al-Ṣāliḥī, Al Noor Publishing Corporation, Riyadh, p.27
- Musallam, Muṣṭafa (2009). **Researcher in Objective Interpretation**, Riyadh, Dar Al Tadmuriya, p.28
- Nuṣayrāt, Jihād (2014). Words that are unique to Surat Al-Ahzab - an objective semantic study, Department of Fundamentals of Interpretation - University of Jordan - published research, **Mutah University Journal**
- Nuṣayrāt, Jihād (2015). **Leader character**, published research
- Quṭb, Sayid ʾIbrāhīm Ḥusayn Al-Shādhlī (2004). **In the shadows of the Qur'an**, vol. 21, p. 2820
- Shaḥrūq, Ibtihāj Yāsir ʿIsa (2011). **The heart in the Qur'an** - an objective study, Master Thesis, Supervisor d. Khālid ʿUlwān, Nablus, An-Najah National University, p. 200